شباك غرفتي

الجوّ شديد الحرارة، وغرفتي تئنُّ من الرطوبة، استلقيت على سريري نهاراً لأنعم بقيلولة تردُّ عني لهيب الصيف، كنت غارقة في النعاس، التيار الكهربائي مقطوع والمروحة تقف صامدة أمام هذا الحرّ كتمثال مصلوب، ليس للغرفة متنفَّسٌ سوى شباك حديدي كبير يطلُّ على أبنية أخرى تعلوه وهو أسفلها جميعاً، كأنه يشعر بالدونية تسحقه، كأنَّ عينيه تتطلَّعان إلى ذاك الشباك العالي وتدمعان، يتمنى لو يستطيع الصعود.. التحرّك.. لكنه يتيم.. قابع في الزاوية، مشنوق إلى رأس السقف، محجوب عن الأفق بغربال، و محاط بستارة تردُّ عنه العيون، يفكر أن يهاجمها.. ينفحها بالهواء فينقطع نفسه سريعاً.. ما أضعفه..! ما أشد تعب هذا الشباك..!

ليتني أغلقت الشباك قبل أن أستلقي، لكن النعاس يغلبني، الشباك قريب جداً من البناء المجاور، ويشعرني دائماً أنني عرضة لاسترق نظر الجيران، أخشى أن يخطر ببال أحدهم أن يقفز من شباكه

ويعتلي أيَّ شيء ثمَّ يرنو ببصره من زاوية الشباك، خاصة إن اتفق مع الستارة فأشاحت له بوجهها وتركت له متعة التلصص، ليتني أغلق الشباك، لكنني نعسى جداً ولم يعد لي قدرة على الحراك.

.. ما هذا..؟ أسمع طرقات قرب شباكي، وكأنَّ أحجاراً تساقطت، هل هناك من يحاول التلصص فعلاً ؟ كأنَّ خيالاً التصق بشباكي، كأنَّ أحدهم يرنو إلى طرف سريري، أشعر أن هناك من يتفرَّج عليَّ أثناء نومي، الكل هنا يعلم أن في المنزل الصغير عروسين جديدين، الأخبار تنتشر في هذه الأبنية كانتشار النار في الهشيم، ماذا أفعل..؟

يا الله..!.. الحرُّ شديد ولا أستطيع أن أغطي جسدي أثناء نومي، بل إنني لا أكاد أحتمل قميص نومي، عليَّ أن أفكر جيداً.. ترى إن نهضت.. هل سأراه..؟ أم أنه يجيد التخفي بسرعة فلا أدركه..؟ الأمر لا يتطلب منه سوى إخفاض رأس، وما الفائدة من نهوضي إن كان قد حفظ موعد نومي وغياب زوجي..؟

يا إلهي.. إنه يصغي لأنفاسي، إنه قريب جداً..!!.. ما زلت مستلقية لكن قلبي ينتفض فزعاً، أسمع همهمات خافتة.. ماذا.. هل استدعى أصدقاءه المراهقين ليتفرّجوا عليّ أيضاً..؟

غير معقول.. يجب أن أفعل شيئاً، أصوات طرقاتهم وهمهماتهم تعلو، ما عادوا يبالون بالتخفي، لقد ازداد أمرهم وقاحة..!

يجب أن أنهض من فراشي وأصرخ في وجوههم، لكنني سأزيد من ضحكهم ووقاحتهم ولن أستفيد شيئاً سوى أن ألمّ عليّ الجيران وأزيد الأمر فضيحة، ولكن من غير المعقول أيضاً أن أتجاهل الأمر.. ماذا أفعل..؟

لقد صدقت كل أحاسيسي السابقة، كنت كلّما نمت شعرت بخيال يقف وراء الشباك، حتى في غسق الليل، وتحت الضوء الخافت، ما هذه الرغبة الجامحة في التلصص..؟

هل يقطع من ساعات نومه وراحة بدنه فقط ليتفرّج على جسد امرأة في أثناء نومها..؟

هل عليّ أن أنام بحشمة وانضباط..؟.. وكيف ذلك يكون..؟؟

أتراه يعرفني خارج المنزل كما يعرفني داخله..؟.. واخجلتاه..!!.. أتراه صاحب الحانوت المجاور لمنزلي..؟

إنه رجل ذو عينين زائغتين يحفظ شكل المرأة من أول مرة، أم تراه صبيّه المراهق الذي نشأ على يديه..؟

أم تراه بائع الخضار المتصابي..؟ كلهم ساكنون في هذه الأبنية ومسيطرون على أجواء المنطقة.

إن أعلمت زوجي بالأمر قد يرتكب جريمة، فهو سريع الغضب والغيرة، ليس لي إلا أن ألقي وابل سبابي وشتائمي على هذا الشباك اللعين.. تباً لك من شباك، إنك تجلب لي القلق والمشاكل، لو لم تكن موجوداً لكان أرحم لي، بمَ تفيدني..؟ لا تجود علي بهواء في الصيف ولا شمس في الشتاء..؟ فقط تدخل لي الغبار وتملأ رأسي بالأصوات والصخب، ما من مشكلة حصلت في هذه الأبنية إلا وعلمت بها، وما من مسمار أدخل في جدار إلا وقرعت رأسي بصوته.. ماذا أفعل بك..؟.. بمجرد انتهائي من هذه المشكلة سأغلقك نهائياً وأقضي عليك إلى الأبد ،حتى لو متُّ من الحرّ وضيق التنفّس.. فهو خير لي من هذا التوتر والاضطراب..!!

عليّ الآن أن أجد حلاً سريعاً ينهي هذه المهزلة، أفضل حل أن انهض ببطء ثم أقوم بتثاقل لأترك لهم فرصة التخفي، ثم أغلق الشباك وكأنني لا أعلم بأمرهم، التعامل مع أمور محرجة كهذه يتطلّب الكثير من الحكمة..

يا إلهي.. ما الذي أسمعه..؟ أصوات طرقاتهم تعلو، يبدو أنهم أحضروا مسماراً ومطرقة ليحفروا الجدار،

بل وأدوات أخرى يقتلعون بها الغربال من الشباك، إنهم يتعمّدون جهاراً اقتحام غرفتي.

لم تعد تنفع المراوحة، لا بد أن أنهض على عجالة، سأغلق الشباك وأقفله إلى الأبد، سأنهض بسرعة قبل أن يتساقط الجدار فوق رأسي.

.. الأحجار تتساقط.. الطرق يتحول إلى تهديم.. نهضت بسرعة، رفعت رأسي فزعة.. فتحت عينيّ بصعوبة.. لم أُجدِ النظر.. قمت لأغلق الشباك، دققت النظر.. معقول.. الشباك مغلق.! يبدو أنني نمت نوماً عميقاً، لكن طرقات عمال البناء المجاور وتصليحاتهم لم تهزّ دماغي فقط بل هزّت البناء كله..

.. أوه.. جسدي يتصبّب عرقاً، الحرّ شديد وما زال التيار الكهربائي مقطوعاً..

.. سأفتح الشباك..!!